تغريبة المطر والقوافل

محمد الثبيتي

أَدِرْ مُهجةَ الصُّبح
صُبَّ لنا وطناً في الكؤوس
يدير الرؤوس
وزدنا من الشاذلية حتى تفي
السحابه
أدِرْ مهجة الصبح
واسفح على قلل القوم قهوتك المرَّةَ
المستطابه
أدرْ مهجة الصبح ممزوجة باللظى
وقلّب مواجعنا فوق جمر الغضى
ثم هات الربابة
هات الربابه :
ألا ديمة زرقاء تكتظّ بالدما
فتجلو سواد الماء عن ساحل الظما
ألا قمراً يحمرّ في غرة الدجى
ويهمي على الصحراء غيثاً وأنجما
فنكسوه من أحزاننا البيض حلّة
ونتلو على أبوابه سورة الحمى
ألا أيُّها المخبوء بين خيامنا
أدمت مطال الرمل حتى تورّما
أدمت مطال الرمل فاصنع له يداً
ومُدَّ له في حانة الوقت موسما
أدِرْ مهجة الصبح
حتى يثنّ عمود الضحى
وجدّد دم الزعفران إذا ما أمَّحى
أَدِرْ مُهجة الصُّبح حتى ترى مفرق الضوء
بين الصدور وبين اللِّحى
أيا كاهن الحيّ
أسرت بنا العيس وانطفأت لغة المُدلجِ
بوادي الغضا
كم جلدنا متون الربى
واجتمعنا على الماء
ثم انقسمنا على الماء
يا كاهن الحيّ
هلاّ مخرت لنا الليل في طور سيناءَ
هلاّ ضربت لنا موعداً في الجزيره
أيا كاهن الحيّ
هل في كتابك من نبأ القوم إذ عطلوا البيد
واتبعوا نجمة الصّبح
مرّوا خفافاً على الرمل
ينتعلون الوجى
أسفروا عن وجوه من الآل

واكتحلوا بالدجى
نظروا نظرةً
فامتطى غلس التّيه ظعنهم والرياح مؤاتية
للسفرْ
والمدى غربة ومطرْ
أيا كاهن الحيّ
إنا سلكنا الغمام وسالت بنا الأرض
وإنا طرقنا النوى ووقفنا بسابع أبوابها
خاشعين
فرتّلْ علينا هزيعاً من الليل والوطن المنتظر:
شدّنا في ساعديك
واحفظ العمر لديك
هب لنا نور الضحى
وأعرنا مُقلتيك
واطوِ أحلام الثرى
تحت أقدام السُّليك
نارك الملقاة في
صحونا، حنّت إليك
ودمانا مذ جرت
كوثراً من كاحليك
لم تهن يوماً . . وما
قَبّلت إلاّ يديك
سلام عليك
سلام عليك
أيا مورقاً بالصبايا
ويا مترعاً بلهيب المواويل
أشعلت أغنية العيش فاتسع الحلم
في رئتيك
سلام عليك
سلام عليك
مطرنا بوجهك فليكن الصبح
موعدنا للغناء

ولتكن سورة القلب فوّاحةً بالدماء
سلام عليك
سلام عليك
سلام عليك فهذا دم الراحلين كتاب من الوجد
نتلوه،
تلك مواطنهم في الرمال
وتلك مدافن أسرارهم حينما ذللت لهم الأرض
فاستبقوا أيّهم يَرِدُ الماء
- ما أبعد الماء . .
ما أبعد الماء ! !
- لا . . فالذي عتّقته رمال الجزيرة واستودعته
بكارتها يَرِدُ الماء
يا ورد الماء عِلَّ المطايا
وصبّ لنا وطناً في عيون الصبايا
فما زال في الغيب منتجع للشقاء
وفي الريح من تعب الراحلين بقايا
إذا ما اصطحبنا بشمس معتّقه
وسكرنا برائحة الأرض وهي تغور
بزيت القناديل
يا أرض كُفّي دماً مشرباً بالتآليل
يا نخل أدرك بنا أول الليل
ها نحن في كبد التيه نقضي النوافلَ
ها نحن نكتب تحت الثرى:
مطراً وقوافلَ
يا كاهن الحي
طال النوى
كلما هلّ نجم ثنينا رقاب المطيِّ
لتقرأ يا كاهن الحيّ
فرتل علينا هزيعاً من الليل . .
والوطن المنتظر

مكة المكرمة